

فتوقف عن المشي فجأة وقال :
 — هل أوتيت ملكة قراءة الأفكار؟
 — بل لاني لا أكاد ألس الحقائق
 إلا بمجهود وصموية . ولكن لم هذا السؤال
 يا سيدي ؟

— لأنني كنت إبان سؤالك أحلق
 في جو من ذكريات موقف صعب عند ما
 كنت في الجيش . كانت ليلة كهذه الليلة
 في صمتها وهدوئها لا في جمالها وروعها .
 — أتمه ما بمنحك أن تقص على ما حدث ؟

فتردد قليلاً ثم تنفس بمتف وقال :
 — أوه ! يا لله !... أجل ... كنت آنذاك
 على مقربة من « متر » . في تلك الليلة ، ليلة
 السابع والعشرين من أكتوبر ، أوفدني القائد
 العام أن أقف إحدى فرقنا — لا يحضرني رفقها
 الآن — وأبلغها بمض الأوامر الحربية . وكان
 عليّ بعد إذ أبلغت الأوامر أن أكرعاً من حيث
 أتيت ، بيد أنني اضطررت أن أترث قليلاً ريثما
 يستعيد جوادى بمض ما فقدته بتأثير الجهد والتعب ،
 وكنا حينذاك نمسك في مهل منبسط فسيح على
 كنب من قرية « كولبي » كما أذكر . وسكنت
 العواصف الهوج — التي كانت تهب في تلك الأيام
 العاصية — لبضع ساعات قلائل . وكان القمر
 يرسل أشعته الشاحبة على البرك والمستنقعات المنبثة
 في تلك الأرض . وهنا يتفق خيالي وخيالك :
 هذه الجنة الفيحاء التي نسير فيها الآن تذكركني
 من ناحية واحدة بالمستنقعات والبرك ، من ناحية
 القمر الزاهر بأشعته الساكرة الناعمة ، أما البجع
 الذي ترى فيذكرني بفرقتي وهي ساكنة لا تتحرك

الى صحافة النيل

إنقاذ العلم

للأديب الفرنسي « أوكناف فوييه »

بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

عند ما انتهى المساء في الليلة الفائتة نفرق جمعنا
 في حديقة القصر ، نستروح نسيم الليل اللطيف
 المسجج ، المبق بأريج الزهور الفواحة ورائحة
 أصناف اللغافات الفاخرة . وأخذ جميع الضيوف
 يتسامرون في همس كأنما هم يحرسون ألا يمحروا
 هدوء الليل الطمئن الرائع ... وكان الجو صاحباً
 جميلاً . وقد أترع القمر الساجي أرض الحديقة الزهراء
 بفيض من نوره الشمري الساحر . وكان للبحيرة
 الصغيرة نصيب من نوره الفضي فانعكس عليها
 وتكسر ، فأمسى كجبات من الماس تتألق على صدر
 كعب مصرى يترجح ؛ وفي وسط البحيرة راحت
 بجعتان تسبحان في هدوء جميل بثوبيهما الأبيضين
 الناصعين . وكان زميلي في تلك الليلة الفائتة هو
 القومندان (ديبلي) وقد أخذنا نطرق شتى الموضوعات
 ونحوض مختلف الأحاديث ونحن نسير الهوينى بين
 البحيرة الألامه والأشجار الشم في الطريق التي يجثم
 عليها خيال القصر المتيد . وبعد فترة صمت قصيرة
 قلت للسيد ديبيلى :

— إن هذه الليلة الرائعة الجميلة لتذكرك ولأرب
 يا سيدي للقومندان ببعض أحداث الحرب .

بأثوابها البيض النواصع ...

أقول توقفت الفرقة عن الهجوم شاهرين السلاح في انتظار أوامر جديدة ، وقد أوقدوا ناراً أحاط بها بعض الضباط بتجاذبون أطراف الحديث في همس وهم يثقلون هنا وهناك المدو . وسرت الشوائع منذ الليلة المنصرمة ، أن الجيش على وشك المزرعة والتسليم ، وكان قائد الفرقة وهو كهل ذو شارب كث كبير ، يتفقد المكان بنفسه جيئة وذهوباً وهو ممسك بالأوامر التي بَلَّغَتْهُ . وأقبل على بنته ثم أمسكني بعنف من ذراعي وقال بلهجة المستفز : — كابتن ! إن لي حديثاً معك . لقد قدمت

من لندن القيادة العامة ، ولا مزية أنك تعلم أكثر مما نعلم . هل ما يدور عن هزيمتنا صحيح ؟

— هذا ما تلوكة الألسنة يا سيدي . وهذا ما أعتقد أنا أيضاً

— أنت تعتقد ذلك ! كيف تصدق يا رجل مثل هذا الخبر الغريب ؟

ثم أطلق ذراعي في عنف أبضاً ، وأنشأ يروح ويشدو في عصبية واضطراب . ثم توقف ومضى يتفرس في عيني وقال :

— وهل سنؤخذ أسرى في يد المدو ؟

— يؤلني أن أقول ذلك يا سيدي الكولونيل وساد الصمت ثانية ، وبدأ كأنما استغرق في تفكير عميق . ثم رفع رأسه وقال بصوت غريب :

— وما هو مصير الأعلام ؟

— وما يدريني يا سيدي الكولونيل ؟

فتركني مرة أخرى وراح يذهب ويجيء بضع دقائق ، ثم أتجه نحو الجنود وصرخ قائلاً :

— العلم !

فتقدم نحوه حامل العلم فس الكولونيل العلم بيده

وأشار بالأخرى إلى قارع الطبل أن يجمع الجنود . فدوى صوت الطبل

ورفع الكولونيل العلم في الهواء وسار قدماً نحو النار حتى انتهى إليها . تخفض العلم ومس به الأرض ثم نظر إلى دائرة الضباط وزرع قبعته ، فحذا الجميع حذوه وظلوا سامتين كأن على رؤوسهم الطير

وتردد الكولونيل قليلاً . وقد رأيت شفتيه يرتعدان ارتعاداً ، وكانت عيناه تتوهجان بكمرتين صغيرتين من شدة الألم والعذاب ، وهو ينظر إلى قطعة القماش المقدسة رمز الوطن وعنوان الفخار بيد أنه عقد العزم أخيراً على ما نوى

وجثا على ركبتيه ، ووضع العلم في النار ، فخرج لسان من اللهب من مראה النيران فأبدى وجوه الضباط الشاحبة ودموع بعضهم المنبجسة الغزار ، وصاح الكولونيل :

— نفرقوا !

وللمرة الثانية دوى صوت الطبل البلبل بماء المطر ، ثم وضع الكولونيل قبعته على رأسه وأقبل يسير نحوى متناقلًا كمن يروح تحت عبء السنين ثم قال بصوت أجش :

— كابتن ! إذا عدت إلى هناك ، وإنك لعائد ، فحدثهم بما رأيت . هيه ! أستودعك الله

فسمعتني أقول له :

— أسمع لي يا سيدي الكولونيل أن أعاقبك ، فجدبني إلى صدره بقوة ومضى يربت على ظهرى يديه ثم قال :

— آه يا بني السكين ! ... يا بني السكين !

وأدار السيد دبيلي عني وجهه حيناً فرغ من قصته ، فسمعت نشيجاً ، فأمسكت بذراعه فقال :

— آه إنك ولا ريب تدرك ما يكابد المرء من آلام

في مثل تلك اللحظات . محمد عبد الفتاح محمد